

الدر المنثور

سنة الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب فخرج الملك للعيد فقامت امرأته فشيخته وكان بها معجبا ولم تكن تسأله فيما مضى فلما أن شيخته قال الملك : سليني فما تسأليني شيئا إلا أعطيتك قالت : أريد دم يحيى بن زكريا .

قال لها : سليني غيره .

قالت : هو ذاك .

قال : هو لك فبعث جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي فذبح في طلست وحمل رأسه ودمه إليها .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : فما بلغ من صبرك ؟ قال : ما انفتلت من صلاتي فلما حمل رأسه إليها ووضع بين يديها - فلما أمسوا - خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه فلما أصبحوا

قالت بنو إسرائيل : لقد غضب إله زكريا لذكرياء فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا فخرجوا في طلبه ليقتلوني فجاءني النذير فهربت منهم وإبليس أمامهم يدلهم علي : فلما أن تخوفت أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنادتني فقالت : إلي إلي وانصدعت لي فدخلت فيها وجاء إبليس حتى أخذ بطرف روائي والتأمت الشجرة وبقي طرف روائي خارجا من الشجرة وجاء بنو إسرائيل فقال إبليس : أما رأيتموه دخل هذه الشجرة ! هذا طرف روائي دخل به الشجرة فقالوا : نحرق هذه الشجرة فقال إبليس : شقوه بالمنشار شقا .

قال : فشقت مع الشجرة بالمنشار .

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : يا زكريا هل وجدت له مسا أو وجعا ؟ قال : لا إنما وجدت تلك الشجرة جعل الله روعي فيها " .

وأخرج ابن عساكر عن وهب بن منبه أن زكريا هرب ودخل جوف شجرة فوضع على الشجرة المنشار وقطع بنصفين فلما وقع المنشار على ظهره أن فأوحى الله " يا زكريا إما أن تكف عن أنينك أو أقلب الأرض ومن عليها " فسكت حتى قطع نصفين .

وأخرج أحمد في الزهد وابن عساكر عن يزيد بن ميسرة قال : كان طعام يحيى بن زكريا الجراد وقلوب الشجر وكان يقول : من أنعم منك يا يحيى ؟ طعامك الجراد وقلوب الشجر .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني وابن المبارك وأحمد في الزهد وأبو نعيم عن مجاهد قال : كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليبيكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينه لأحرقه ! ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه